

الدكتور كيفن إي فريديريك، الوالدنسيون، المحاضرة الخامسة، أ، معالجة بدعة الكاثارية

كيفن فريديريك وتيد هيلدبراندت © 2024

هذا هو الدكتور كيفن فريديريك في تعليمه عن تاريخ الوالدنسيين. هذه هي الجلسة الخامسة، معالجة بدعة الكاثارية.

عظمتنا هذه المرة عن معالجة بدعة الكاثارية.

في البداية، أود أن أتأمل في رسالة كورنثوس الأولى، من الآيات 18 إلى 20. في مخاطبته لكنيسة كورنثوس في منتصف القرن الأول الميلادي، واجه بولس تحدي الوعظ لجماعة أصبحت منقسمة بسبب الخلط بين الإيمان والمنطق المتكبر. كان بعض المسيحيين الأوائل يعتقدون أن الحكمة البشرية هي الطريق إلى الخلاص.

في هذا المقطع من الكتاب المقدس، يتحدى بولس المسيحيين الأوائل برفض فكرة أن اكتساب الحكمة البشرية من شأنه أن يؤدي إلى الخلاص الشخصي. وعلى النقيض من هذا المنظور، يشجعهم بولس على تبني حكمة الله، التي تم الكشف عنها في موت يسوع على الصليب، كوسيلة لتحقيق الخلاص. من ناحية، ينظر البشر إلى الحكمة البشرية على أنها اختيار ذكي ووسيلة للخلاص الشخصي، في حين أن الحكمة الإلهية، حكمة الصليب والمعاناة، تبدو حمقاء في نظر البشر، لأنها تحتضن الضعف والهشاشة باعتبارهما الوسيلة ذاتها التي يجلب بها الله الخلاص للبشرية.

إن أولئك الذين يؤكدون على الحكمة البشرية كوسيلة لتحقيق الخلاص يميلون إلى التركيز على فكرة مفادها أنه من خلال الإلتقان الفكري للحكمة الإلهية، يمكنهم الوصول إلى الخلاص، في حين يكتشف أولئك الذين يعتقدون الصليب أن الثقة في انتصار المسيح على الموت والنعمة التي يكشفها عن الله هي الوسيلة الوحيدة للخلاص. منذ وقت مبكر من الجيل الأول للمسيحية، في زمن بولس، أكد بعض المسيحيين على تحقيق شخصي للحكمة حول الله كوسيلة للخلاص، وبالتالي خلق بدعة الكنيسة المبكرة الغنوصية. تم بناء بنية نظام الاعتقاد هذا على مفهوم الثنائية، بأن إله العهد القديم كان إله عالم ساقط ومعيب للغاية، وكان مليئاً بالغضب والإدانة تجاه العالم وسكانه، في حين كان إله العهد الجديد إله البر الإلهي والخلاص.

إن الثنائية ترى أن العالم المادي، بكل ما فيه من نقائص، هو عالم خاطئ، ومحكوم عليه، ولا يمكن خلاصه في حين أن العالم الروحي، الذي هو منفصل تمامًا عن العالم المادي، يمكن الوصول إليه روحياً من خلال اكتساب معرفة الله وحكمته. لقد رفض المؤمنون الغنوصيون كل ما هو مادي، في حين أن الحياة التي تركز على المعرفة حول العالم الروحي كانت وسيلة حقيقية للخلاص. ولكن إذا كان المرء يؤمن بعقلية ثنائية مفادها أن العالم المادي خاطئ وأن العالم الروحي فقط هو الوسيلة للخلاص، فكيف يمكن للمرء أن يوفق بين أن يسوع المسيح كان إنساناً حياً يتنفس؟ يخلق هذا النظام العقائدي مشاكل لا يمكن التوفيق بينها بالنسبة للعقيدة الأرثوذكسية التي تقول إن يسوع المسيح كان إنساناً كاملاً وإلهاً كاملاً.

من أجل دعم الإطار الثنائي للإيمان، يزعم الغنوصيون أن يسوع ظهر كإنسان فقط وأنه لم يتألم حقاً على الصليب. يعتقد الغنوصيون أن الله ينقل إلى البشرية في يسوع هبة الحكمة الإلهية من خلال تعاليمه ومن خلال حياته. وفقاً للاعتقاد الغنوصي، لأن الله قادر على كل شيء، فمن غير الممكن أن يعاني الله ويموت. وبظل إلهاً.

لقد خلق هذا الرفض لمعاناة المسيح رؤية مشوهة للإنسانية والخلقية، حيث تم النظر إلى كل من الخليفة والإنسانية على أنهما شيء يجب رفضه وتجاوزه. ولأن الخلاص لا يمكن تحقيقه إلا من خلال اكتساب

المعرفة الروحية، فقد جعل هذا البناء من السهل إدانة البشرية كلها التي لم تكن مطلعة على المعرفة الإلهية للغنوصية. في الغنوصية، كان باب السماء ضيقًا للغاية ولا يمكن الوصول إليه إلا من خلال عقل ومعرفة المؤمن.

كان الإيمان المبني على نعمة الله كما كُشف عنها في يسوع المسيح وأُعطي مجانًا للبشرية غائبًا تمامًا عن نظام المعتقدات الغنوصية. وشهدت العصور الوسطى المبكرة تجدد الاهتمام بالمعتقدات الغنوصية في منطقة أوروبا الشرقية من الإمبراطورية البيزنطية في حركة تسمى البوجوميلية. كان البوجوميليون الأوائل ثنائيين معتدلين بجذور قديمة في الغنوصية، وبالتالي، كانت العديد من معتقداتهم تتعارض مع الكنيسة الرومانية والأرثوذكسية الشرقية.

لقد رفضوا طقوس القداس وسر القربان المقدس، واستخدام العهد القديم ككتاب مقدس، والإيمان بمعجزات المسيح، وسر المعمودية، وكهنوت الكنيسة الكاثوليكية. وبسبب رفضهم لكل ما ينتمي إلى المجال المادي، فقد رفضوا الزواج أيضًا. كان زعماء الكاثار عازمين وذهبوا إلى حد رفض كل الأطعمة التي لها أي علاقة بالتكاثر الحيواني، بما في ذلك اللحوم ومنتجات الألبان والبيض.

قبل أن نستكشف عودة ظهور الغنوصية في أوروبا في العصور الوسطى، نحتاج إلى إرساء فهم أساسي للسياق التاريخي. لقد ساهم الانقسام الكارثي بين الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في الغرب والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية في الشرق في عام 1054 وما تلا ذلك من تأسيس للإصلاحات الغريغورية داخل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في تغييرات جوهرية في الكنيسة والمجتمع في منتصف إلى أواخر القرن الحادي عشر. سعى البابا جريجوري إلى تطهير الكنيسة الرومانية من خلال مجموعة متنوعة من الإصلاحات، بما في ذلك وضع ضوابط أكثر صرامة على تعيين الضباط داخل الكنيسة، ونبذ ممارسة السيمونية، وممارسة بيع الضباط المعينين للكنيسة، وإلزام جميع قادة الكنيسة المعينين بالعزوبة.

ولم يشجع البابا غريغوري المسؤولين الكنسيين المستقيمين أخلاقياً على انتقاد أي قادة مكرسين ينخرطون في سلوكيات مخمورة أو فاجرة فحسب، بل إنه أمر أيضاً العلمانيين بمحاسبة الكهنة والأساقفة. وشجع غريغوري العلمانيين الكاثوليك على الابتعاد عن الأسرار التي يديرها الكهنة المتزوجون أو الذين حصلوا على رتبة سيمونية. وكان غريغوري يقصد من هذا أن يكون سلاحاً لفرض الإصلاح على رجال الدين المتمردين ولكنه كان سلاحاً خطيراً للاستخدام، لأنه من هناك لم تكن هناك خطوة طويلة نحو الاستغناء عن الكهنة تماماً، كما أدرك الباباوات والمحامون الكنسيون في باريس في وقت لاحق.

بحلول عام 1100، كانت هناك تغييرات جوهرية جارية في المجتمع، وخاصة داخل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. كان القرن الثاني عشر وقتاً من الاضطرابات الدينية حيث كان العلمانيون يحاولون إيجاد مكان لهم في تجدد كبير للحياة الدينية. ومع ذلك، أضاعت القيادة الكاثوليكية الرومانية فرصة عظيمة للاستجابة للحاجة الصادقة للعلمانيين الكاثوليك في بحثهم عن المعنى ولم تعالج الحاجة إلى تثقيف العلمانيين كجزء من واجباتهم المقدسة.

ولكن بدلاً من ذلك، اعتقدوا أن الكنيسة ورجالها المثقفين الدينيين مدعوون إلى حماية وحراسة حقيقة مقدسة، والتي اعتقدوا أنها مقدسة للغاية بحيث لا يمكن تكليف عامة الناس بها. لذا، فقد أبقوها واضحة فقط لأولئك الذين تلقوا تعليماً مناسباً ورُسموا في الكنيسة. وحقيقة أن جميع النصوص الدينية للكنيسة، بما في ذلك الكتاب المقدس، كانت مكتوبة باللغة اللاتينية تعني أن أقل من 2٪ من السكان كانوا متعلمين وظيفياً.

كان الافتقار إلى التعليم بالنسبة لأي شخص تقريباً خارج الدير أو الأديرة أو الجامعات سبباً في استحالة فهم الشخص العادي للاختلافات بين العقيدة الهرطوقية والمعتقدات الأرثوذكسية. ونتيجة لسياسة الكنيسة المتمثلة في الحفاظ على قبضة قوية على من اكتسب المعرفة الكتابية والكنسية، وبالتالي حجب الإيمان

بالسرية الدينية، بحلول النصف الأول من القرن الثاني عشر، كان هناك العديد من الدعاة المتجولين للهرطقة الذين تمكنوا من الوصول إلى آلاف عديدة من الناس العاديين وتحويلهم إلى طرق تفكير جديدة. وخلال نفس الفترة الزمنية داخل المجتمع، كان الإقطاع، وهو نظام اقتصادي قائم على ملكية الممتلكات والثروة، تحت سيطرة فئة صغيرة من التابعين، وكان مدعومًا من قبل طبقة أكبر بكثير من الفلاحين الذين كان عملهم يعول أصحاب الممتلكات.

وقد أصبح هذا البناء الاجتماعي والاقتصادي أكثر تنظيمًا في مختلف أنحاء أوروبا الغربية. ومع نمو المدن-الدول العسكرية، بدأت تظهر طبقة جديدة من الميليشيات المحترفة، المعروفة باسم الفرسان. وقد تم توظيفهم وتدريبهم لبناء وتسليح القلاع والبلدات والمدن المحصنة المنتشرة في مختلف أنحاء أوروبا. كما شهد ظهور المدن الآمنة نمو الطبقة المتوسطة من الحرفيين وأصحاب الأعمال الصغيرة.

كان أصحاب الأراضي الأثرياء يُلقَّبون غالبًا بالأمرء، وكانوا يشكلون الطبقة الحاكمة في هذه المجتمعات. وفي فرنسا، طوّر هؤلاء الأمرء ولاءات سياسية لملك فرنسا، ودعموا ولاءهم بحشد الجيوش لدعم الملك. ولم ترد تقارير عن ثنائية هرطوقية في الغرب حتى عام 1114.

طوال القرن الحادي عشر، انتشرت البوجوميلية شرقًا في جميع أنحاء الإمبراطورية البيزنطية. وبحلول بداية القرن الثاني عشر، بدأ البوجوميليون في إرسال المبشرين إلى أوروبا الغربية. ومنذ منتصف القرن الثاني عشر كان جميع الكهنة الكاثاريين في فرنسا، والمعروفين باسم بيرفيكتي، يشتركون في كتاب خدمة متطابق مع كتيبات خدمة عبادة البوجوميليين الموجودة في بلغاريا والقسطنطينية.

من المتفق عليه على نطاق واسع أن الكاثارية كانت متجذرة بقوة في أوروبا الغربية عندما تم تقديم أسقف كاثوليكي ورفيقه للمحاكمة في عام 1143 في مدينة كولونيا. كان الكاثاريون موجودين في منطقة لانغدوك في جنوب فرنسا حول مدينة تولوز منذ وقت مبكر يعود إلى عام 1145. وبحلول ستينيات القرن الثاني عشر، انتشرت الكاثارية إلى شمال فرنسا وهولندا وأجزاء من إيطاليا.

تكشف السجلات أن لغة العبادة القياسية للطائفة الكاثارية في القرن الثاني عشر كانت اللاتينية، مما يعني أن جمهورهم الأساسي كان النخبة المتعلمة في الكنيسة والمجتمع. لا بد أن هؤلاء المبشرين الكاثاريين من الإمبراطورية البيزنطية قد أحضروا معهم ترجمتهم اللاتينية لطقوس الكاثار، مما سمح بانتشار الكاثارية بسرعة في أوروبا الغربية. ثم قام القساوسة والرهبان الفرنسيون الذين اعتنقوا الكاثارية بنسخ هذه الكتيبات.

كان من واجب العلمانيين الكاثاريين المتعلمين في كل مجتمع أن يشاركوا عائلاتهم وأعضائهم المفاهيم الأساسية للكاثارية. نشأت الكاثارية كعقيدة من المسيحية، لكن تأكيدها على الطبيعة الثنائية لله وإنكارها لإنسانية المسيح جعل الكاثارية بدعة لاهوتية كما يراها الإيمان المسيحي الأرثوذكسي. وعلى عكس العلاقة بين الوالدنسيين والكنيسة الكاثوليكية، كان للكاثارية موادها المكتوبة الخاصة وبنيتها الرسمية بعيدًا عن الإيمان الكاثوليكي.

في هذا السياق، نصل إلى فهم الصدام بين الكاثار والوالدنسيين. قبل عام 1184، كانت قضية فالديز قضية رعونية، صراع بين دعوة قوية للغاية إلى الفقر الرسولي والحقوق القانونية الطقسية لرجال الدين المؤسسين. كان من المتوقع أن يخضع فالديز وأتباعه حماسهم لسلسلة الهرمي الذي لم يشاركهم طموحهم. المتحمس إلى الفقر الرسولي أو شعورهم المتجدد بالرسالة.

وقد وصم البابا فالديز بالانشقاق، وطردته الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وسرعان ما نفاه الأسقف المحلي من ليون. ونتيجة لهذا النفي، تبنى أتباع فالديز شعار الإنجيل المتمثل في إرسالهم في أزواج للتبشير بالإنجيل وتعليمه. وفي محاولة لإظهار ولائهم للكنيسة الأم الرومانية واعترافهم ببدعة الكاثارية، أرسل فالديز وأتباعه

أزواجًا من المبشرين إلى منطقة لانغدوك في فرنسا للتبشير ضد الكاثارية و تثقيف الجمهور بشأن الاختلافات في المعتقدات بين الكاثوليكية الأرثوذكسية والتعاليم الهرطوقية للكاثارين

إن مصطلح "لانغدوك" يعني حرفيًا لغة الشعب، وفي هذه المنطقة من فرنسا كانت اللغة الشائعة التي يتحدث بها الناس هي اللغة البروفنسية، وهي نفس اللغة الإقليمية التي يتحدث بها سكان ليون. وبحلول أواخر القرن الثاني عشر، نجح أتباع والدو، المعروفون باسم فقراء ليون، في تحقيق اختراقات كبيرة بين الطبقات المتوسطة والفلاحية في هذه المنطقة إلى حد كبير بسبب قدرتهم على تعليم الإيمان المسيحي من الكتاب المقدس واللغة العامية. كما جسدوا روح التواضع واللطف، مما أظهر تكامل تعاليم وأسلوب حياة يسوع.

لقد استخدم الوالدنسيون هذه المنهجية بفعالية للإشارة إلى طبيعة بدعة الكاثارين للعلمانيين في جميع أنحاء لانغدوك، وحققوا تقدمًا كبيرًا في إبطاء انتشار نفوذ الكاثارين. ونتيجة لفعالية الوالدنسيين في كسب قلوب عامة الناس، اعتمد الكاثاريون، بحلول أوائل القرن الثالث عشر، بشكل متزايد على استخدام لغة الناس لتوسيع نفوذهم. خلال هذه العقود الأولى من وجود فقراء ليون، انضم عالم كاثوليكي فرنسي آخر كان على دراية جيدة باستخدام اللاتينية إلى فقراء ليون، مما وفر للحركة النزاهة الفكرية والأساس اللاهوتي العميق الذي تحتاجه.

Liber Antiheresis كان اسم هذا العالم هو دوراند من هويسكا. وكان أعظم إسهاماته، وهو الوثيقة المسماة قد عمل على معالجة الكاثارين الهرطقة ومعتقداتهم. وقد قدم دوراند مخططًا لاهوتيًا متطورًا للغاية، ومجموعة من التعليمات لمواجهة المعتقدات الضالة للكاثارين بشكل فعال وكسب عامة الناس إلى الكنيسة الأم.

أعظم مساهمة قدمها دوراند للحركة الوالدنسية، حتى أن الأساقفة الكاثوليك الرومان Liber Anteheresis اعترفوا به كأداة فعالة ضد بدعة الكاثارية. وبسبب فعالية الوالدنسية في معالجة بدعة الكاثارية، كان العديد من الأساقفة بطيئين في إدانة أتباع والدو، وحتى مع العلامة الفاشية التي تدينها البابوية، استمر العديد من الأساقفة في غض الطرف، وكانوا راضين عن وعظهم المناهض للكاثار، والذي كان فعالاً لأن السكان المحليين استمعوا إليه. وبالتالي حظي والدو وأصدقائه بقبول الناس وحظوا بتقدير كبير نسبيًا من قبل التسلسل الهرمي الكاثوليكي الإقليمي.

كان الخلاف الوحيد معهم يتعلق بممارسة الوعظ لدى الوالدنسيين. ومع تزايد نفوذ الكاثارية بسرعة في منطقة كانت في السابق كاثوليكية رومانية حصرية تقريبًا، رد البابا بغضب شديد على الهرطقة بإعلان حملة صليبية ضد حركة الكاثار. والحملة الصليبية هي حرب لا يمكن أن يدعو إليها إلا البابا نيابة عن الدفاع عن العالم المسيحي ضد هجمات الكفار.

يمكن أيضًا الدعوة إلى حملة صليبية لاستعادة الأراضي والممتلكات التي استولى عليها الكفار، ويمنح الولاء لها المؤمنون الكاثوليك الذين يطلق عليهم الصليبيون. كان الصليبي المقدس جنديًا حمل السلاح ضد عدو حده البابا، ولكن تم تمييزه عن المرتزقة والجنود المجندين بالطرق التالية. لم يكن دافع الصليبي هو الدفع بالمال أو الممتلكات؛ بل عُرض عليه غفران يمنحه غفرانًا كاملاً لخطاياها التي ارتكبها حتى الآن، مع اعتبار عمله كجندي في الحملة الصليبية بمثابة تكفير له.

وأخيرًا، يقطع الصليبي عهدًا لله، ويلزم الجندي علنًا بضميره، في الضمير، بتنفيذ العهد. كانت الحملات الصليبية ضد الكاثار هي أول دعوة من الكنيسة ضد الأوروبيين الغربيين الذين انفصلوا عن المسيحية الكاثوليكية. في عام 1205، حدث أول عمل تدميري رئيسي ضد الكاثار في مجتمع بيزيه في لانغدوك.

في شغفهم وغضبهم الجامح، استولى الصليبيون على مجتمع بيزيه بأكمله. وسرعان ما اجتاحت المهاجمون المدينة، وهرع المواطنون إلى الكاتدرائية الكاثوليكية للحماية. ونهبوا الكنيسة والمدينة، وقُتل جميع السكان وقُتل رجال الدين والنساء والأطفال داخل الكنائس.

وعندما استولى قادة الجيش على الغنائم من أتباع المعسكر، أُطلقت النيران على المدينة وأُحرقت، وفي بداية الحملة، يُقال إن القائد العسكري للحملة الصليبية، أرنولد أمالريك، سُئل كيف ينبغي للمهاجمين التمييز بين الزنادقة والكاثوليك. ويقال إنه أجاب: اقتلوهم جميعًا، والله وحده يعلم من هو. كان يعيش في بيزيه حوالي شخص وقت المذبحة، ولم ينجُ منهم سوى عدد قليل جدًا، إن وجد 10000.

ولم يحدث مرة أخرى أن شنت مثل هذا التدمير العشوائي ضد مدينة بأكملها، ولكن المجتمعات الكاثارية قمعت في العديد من البلدات والمدن الأخرى حتى بدأت الحملة الصليبية ضد الكاثار تتلاشى تدريجيًا بحلول عام 1229. وبمجرد احتواء هرطقة الكاثار بقوة، بدأ غضب البابوية يتجه في أوائل ثلاثينيات القرن الثالث عشر ضد الوالدنسيين. وبحلول عام 1250، أنشأت البابوية دليلًا موحدًا ومنهجيًا للعمليات ووزعته على نطاق واسع لاستخدامه من قبل جميع المحققين أثناء محاكمة وإدانة الزنادقة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

باختصار، سعى الكاثاريون، ثم الوالدنسيون في وقت لاحق، إلى ملء الفراغ المعترف به من خلال معالجة بحث الطبقة المتوسطة عن المعنى وفهم العلاقة الروحية بين الله والبشرية. وقد تبنت الحركتان عهد الفقر وبدأتا في الوعظ باللغة العامية. وكانت معتقدات الكاثار تتعارض مع معتقدات الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. ومع ذلك، أثبتت ممارسة الوالدنسيين للتبشير بكلمة الله بلغة الناس أنها تشكل تهديدًا كبيرًا للكنيسة.

كان من السهل نسبيًا رفض أتباع الكاثار ووصفهم بالهرطقة بسبب تفكيرهم الثنائي. فقد اعتقدوا، مثل أتباع المانوية في الكنيسة الأولى، أن إله العهد القديم ليس هو إله العهد الجديد وأن يسوع لم يكن إنسانًا كاملاً لأن الله لم يكن قادرًا على المعاناة. وربما يكون من السهل اليوم رفض هذا التفكير باعتباره هرطقة بالنسبة للمسيحيين التقليديين، ولكنه كان بديلاً مغريباً لفهم محكم للغاية للإيمان المسيحي الذي ظل محجوباً بلغة غير مفهومة ولم يتم تدريس معتقداته بفعالية لغالبية الناس.

لقد تعرضت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية للتهديد من قبل حركة الكاثار لأنها كانت قد تجاوزت القرن، ولكن التهديد الأعظم الذي تعرضت له الكنيسة الكاثوليكية كان من نصيب مجموعة كانت كاثوليكية إلى حد كبير في معتقداتها ولكنها تجرأت على إرسال مبشرين متواضعين وفقراء في أزواج لنشر كلمة الله بلغة يمكن للناس أن يفهموها. هذه هي كلمة الرب. الحمد لله.

هذا هو الدكتور كيفن فريدريك في تعليمه عن تاريخ الوالدنسيين. هذه هي الجلسة الخامسة، معالجة بدعة الكاثارية.